

والقيم والمشاعر، وتتركز بصفة خاصة فى الأفكار والمعايير بما تنطوى عليه من طرق ووسائل شعبية وآداب جماعية وسنن وأعراف اجتماعية^(١).

٣ - الفرق بين الحضارة والثقافة :

تعود كلمة ثقافة Culture إلى اللاتينية ، وذلك أن كلمة Culture اللاتينية كانت تعنى : حرت الأرض وتنميتها ، ومن هنا قالوا Agriculture إصلاح الأرض وزراعتها^(٢).

ولعل شيشرون أول من استخدمها بمعناها المجازى الذى شاع فيما بعد حين أطلق على الفلسفة Mentiscultura أى زراعة العقل وتنميتها ، وقد استعملت فى الأدب اللاتينى المسيحى فى معنى تهذيب الروح Cultura Animi^(٣).

وفى عصر النهضة الأوربية كانوا يستعملون اللفظ للفنون والأدب فيقولون Cultura Bonorum Artium أى ثقافة الفنون الجميلة ، وذلك بعدما استعار فولتير وأقرانه من المفكرين الفرنسيين استخدام شيشرون المجازى حتى باتت الكلمة تعنى تنمية العقل وغرسه بالذوق والفهم وتزيينه بالمعرفة ، ومن الفرنسية انتقلت الكلمة بمعناها الجديد إلى الألمانية والإنجليزية وسائر اللغات الأوربية^(٤).

أما هذا اللفظ فيرتدُّ فى اللغة العربية إلى التشقيف وهو يحمل معنى التحويل والإصلاح والتهذيب، فيقول صاحب اللسان : ثَقَّفَ الشَّيْءَ ثَقْفًا وَثَقَافًا وَثَقُوفَةً : حَدَقَهُ ، وَرَجَلَ ثَقْفٌ وَثَقَّفَ وَثَقَّفَ : حَازَقَ فَاهِمٌ ، وَيَقُولُ ابْنُ السَّكَيْتِ : رَجَلَ ثَقْفٌ لَقَفَ إِذَا كَانَ ضَابِطًا لِمَا يَحْوِيهِ قَانِمًا بِهِ ، وَيُقَالُ : ثَقَّفَ الشَّيْءَ وَهُوَ سُرْعَةُ التَّعَلُّمِ ، وَثَقَّفَ الرَّجُلُ ثَقَافَةً أَيْ صَارَ حَازِقًا خَفِيفًا^(٥).

وهذا التعريف يجعله قريباً من المعنى الاصلى لكلمة Cultura اللاتينية ، وقد تطور المصطلحان العربيان - حضارة وثقافة - تطوراً مماثلاً لنظيريهما فى اللغات الأوربية .

ومنذ أيام الرومان ارتبط معنى الثقافة بمعنى الإنسانيات ، فالثقافة عندهم تطلق على الإنسانيات من أدب ولغة ونحو ومنطق وفلسفة دون العلوم .

وفى القرن التاسع عشر أعاد فلاسفة الألمان النظر فى معنى اللفظ واستعمالاته واعترضوا على الكثير من المعانى التى تُستعمل فيها مثل استعمال جون لوك لها فى معنى «تربية الصغار» ، ورجعوا

(١) دراسات أنثروبولوجية ، د. أحمد الخشاب ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٠ ، ص ٦٨-٧٠ .

(٢) معالم على طريق تحديث الفكر العربى ، ص ٤٨ .

(٣) الحضارة ، ص ٣٦٨ . (٤) معالم على طريق تحديث الفكر العربى ، ص ٤٨ .

(٥) اللسان ٤٩٢/١ .

إلى تاريخ اللفظ واستعماله عند الرومان فوجدوا أن هذا اللفظ Kultur - عند الألمان - يتعلق فى الغالب بالعلوم الإنسانية فى مقابل العلوم الطبيعية^(١) .

أما معاصروهم من المفكرين الإنجليز فقد ذهبوا إلى القول بأن الثقافة هى محاولتنا الوصول إلى الكمال الشامل عن طريق العلم بأحسن ما فى الفكر الإنسانى ، مما يؤدى إلى رقى البشرية ، وأن الدين من العناصر التى استعان بها الإنسان فى محاولته إلى الكمال^(٢) .

ومن نصف قرن تقريباً استقر الناس فى الغرب على أن الثقافة هى التهذيب ومحاولة الوصول إلى الكمال وأنها جماع المعارف الإنسانية^(٣) .

ومن هنا يمكن القول بأن الثقافة فى معناها العام هى مجموع المعلومات التى يقوم عليها نظام حياة أى شعب من الشعوب ، فهى أسلوب حياته ومحيطه الفكرى ونظراته إلى الحياة ولا بد أن تكون خاصة به ، ونابعة من ظروفه واحتياجاته وبيئته الجغرافية وتطور بلاده التاريخى الحضارى^(٤) .

أما عن استخدام المصطلحين - حضارة وثقافة - فمن الناس من يستخدمها بمعان متداخلة ، والبعض يساوى بينهما ، فى حين يفرق بينهما البعض الآخر .

ففى الاستخدام الأنثروبولوجى : الثقافة أوسع من الحضارة إلا أنها متداخلة معها باعتبار أن الثقافة هى نمط أو طريقة حياة مجتمع ما من المجتمعات الإنسانية ، إنها - بشكل عام - كل ما يختص به المجتمع مما يفرق الإنسان عن الحيوان من لغة ودلالات وأدب وفن وديانات وأخلاق وعادات ومظاهر الحياة الاجتماعية من لبس وزينة وكيفية طبخ وأكل وغناء ... الخ^(٥) .

أما الحضارة فى الاستخدام الأنثروبولوجى الأمريكى خاصة :

فهى إما محصلة التاريخ الثقافى للإنسان ، وإما ثقافة مجتمع كبير نسبياً على الأقل بشرط أن تستمر هذه الثقافة فترة طويلة وأن تتضمن قيام المدن والتنظيمات السياسية والإدارية ، إذن فالحضارة هى حصيلة ثقافات الشعوب ، فليس كل الثقافات حضارات فى حين أن كل الحضارات ثقافات إذ أن الحضارة الواحدة هى التركيب الأعلى لجميع الثقافات^(٦) .

أما الذين يساوون بين المصطلحين فكان من أشهرهم تايلور فى القرن الماضى وقد حذا حذوه كثير

(٢) السابق . ص ٣٧٠

(١) الحضارة ، د. حسين مؤنس ، ص ٣٦٩ .

(٤) الحضارة ، ص ٣٦٧ .

(٣) السابق ، ص ٣٧٠ .

(٦) السابق ، ص ٤٤ .

(٥) معالم فى طريق تحديث الفكر العربى ، ص ٤٣ .

من المفكرين ، فقد كانت الأكثرية تستخدمهما دون تحديد دقيق ودون أى حرج من تبديل أحدهما بالآخر^(١) .

وهناك من يفرق بين المصطلحين وهم المفكرون الأوروبيون ولاسيما الألمان منهم ، فقد جعل هؤلاء الحضارة تقتصر على الإنجازات التقنية والمعرفة العلمية الموضوعية التى يمكن أن تقاس قياساً كمياً فى حين جعلوا الثقافة تشير إلى المعرفة الذاتية غير الوصفية ، ذات الأحكام التقويمية مثل الديانات والاعتقادات والأخلاق والفلسفة والآداب والفنون .

ويمكننا القول بأن مصطلح الحضارة كان يستخدم فى بداية الأمر ليعنى ما تمتاز به الشعوب الأوربية من خصائص^(٢) .

ثم اتجه تدريجياً ليعنى الشريحة الثقافية المتقدمة ، فالحضارة الراهنة هى الثقافة الأكثر تقدماً بين ثقافات المجتمعات المعاصرة ، وتاريخ الحضارة هو تاريخ الإنسان الثقافى منذ كان الإنسان ومنذ كانت الثقافة ، وكلمة الأكثر تقدماً لا تعنى الرقى فى الجانب المادى دون التقدم الفكرى^(٣) .

وإذا كانت الحضارة هى الثقافة الأكثر تقدماً فإن هذا يجعلها أوسع من العمران Civility الذى هو جانب من الحضارة أو فرع من فروعها ، ومن هنا يمكن القول بأن ابن خلدون هو الذى أسس هذا الفرع وبنى صرحه عندما جعل العمران البشرى مرادفاً للحضارة .

والحضارة تختلف كذلك عن التمدن Urbanity وهى الكلمة التى اختارها جرجى زيدان عندما وضعها عنواناً لكتابه «تاريخ التمدن الإسلامى»^(٤) .

والفرق بين هذه الاصطلاحات الثلاثة : العمران ، المدينة ، الحضارة هو أن كلمة عمران تردت سريعاً إلى التعمير والإصلاح ، وكلمة مدينة تردت أيضاً إلى المدينة ، أما الحضارة فهى أوسع من أن تُحصر فى العمران أو التمدن^(٥) .

فالحضارة إذن هى حصيلة ثقافات العالم ، وتتصف بالكلية والوحدة أو الشمولية من جهة والخصوصية من جهة أخرى ، والحضارة أشبه ما تكون بعملية ثقاف متواصلة .

(١) السابق ، ص ٤٤ .

(٢) معالم فى طريق تحديث الفكر العربى ، ص ٤٨ ، ٤٩ .

(٣) معالم فى طريق تحديث الفكر العربى ، ص ٤٩ .

(٤) تاريخ التمدن الإسلامى ، جرجى زيدان ، مراجعة وتعليق د. حسين مؤنس ، دار الهلال ، ١٩٥٨ م .

(٥) معالم فى طريق تحديث الفكر العربى ، ص ٤٩ .

وخلاصة القول إنه لا يمكن الفصل بين الثقافة والحضارة أو إقامة أى تعارض بينهما ^(١) .
متداخلاً دون أن يصل إلى حد التساوى ، وهما متميزان دون أن يصل بهما هذا التمايز إلى درجة التباين ^(٢) .

فنحن من جهة لا يمكن أن نساوى بين الحضارة والثقافة ومن جهة أخرى لا نصل إلى ^(٣) .
الذى يجعل من الثقافة شيئاً ومن الحضارة شيئاً آخر ^(٤) . وبالتالي فإن «الحضارة يمكن أن تكون قومية ، لأن الثقافة تتجلى لنا مرتبطة بالنظام المجتمعي والسياسي» ^(٥) .

ولذا كانت الثقافة وحدة صغيرة داخل بناء الحضارة ، فالحضارة تحوى فى داخلها الثقافة والمدنية والعمران ، وعندما تصل جماعة ما إلى أقصى درجة من هذه الأمور الثلاثة فقد بلغت الحضارة بأكملها .

ثالثاً : العلاقة بين الحضارة واللغة

عرّف ابن جنى اللغة بأنها : أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم ^(٦) .

ويتضح لنا من هذا التعريف أن اللغة وظيفة اجتماعية تمثل فى التعبير عما يعتلج فى نفس الأفراد ، وأن لها إطاراً اجتماعياً ، ومن ثمّ فهي تختلف باختلاف الجماعات الإنسانية ، وعلى هذا فوجود اللغة يشترط وجود المجتمع ، ومن هنا يتضح لنا الطابع الاجتماعى للغة ، فليس هناك نظام لغوى يمكن أن يوجد منفصلاً عن جماعة إنسانية تستخدمه وتتعامل به ، فاللغة ليست هدفاً فى ذاتها وإنما هى وسيلة للتواصل بين أفراد الجماعة الإنسانية ^(٧) .

واللغة نسق دقيق من العلاقات يعقده أفراد المجتمع بين بعضهم البعض ، وبينهم وبين البيئة التى تحيط بهم . وبحكم هذه العلاقة أصبح للغة تأثير بالغ فى مناحى الحياة .

وأما عن العلاقة بين اللغة والحضارة فهي علاقة بناء وتحديد ، بمعنى أن اللغة تحدد الحضارة كما أنها فى الوقت نفسه تتحدد بها ، فاللغة تحدد الحضارة باعتبار علاقتها بالحقائق الحضارية التى تكون معها مجموع الحضارة ، وهى فى الوقت عينه قيد للحضارة ومفتاح لها وكانت لهذا السبب نموذجاً

(١) من المنقول إلى المنفتح ، محمد عزيز الحبابي ، ترجمة محمد براءة ، ط الثانية ، الأنجلو المصرية ١٩٧٣ م ، ص ٣١ .

(٢) السابق ، ص ٣١ .

(٣) الخصائص ، تحقيق محمد على النجار ، الهيئة العامة للكتاب ، ط الثالثة ، ١٩٨٦ م ، ج ١/ ٣٤ .

(٤) مدخل إلى علم اللغة ، د. محمود حجازي ، دار الثقافة ، ط الثانية ، ١٩٧٨ ، ص ٩ .